الباب الثلاثون
في ذكر صفات
أهل النار وأصنافهم وأقسامهم

قد سبق قول ابن مسعود أنه لا يترك في النار سوى الأربعة ، وليس فيهم خير ، وأخذه من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[المدثر:٤٣-٤٦]

١ ـ (٢٣٨) وفي الصحيحين عن حارثة بن وهب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبّره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر** » [(١)] .

و« العتل » قال مجاهد وعكرمة : هو القوى وقال أبو رزين : هو الصحيح . وقال عطاء بن يسار عن وهب الذّماري قال : تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه ، وأرحب جوفه وأعطاه معظمًا من الدنيا ، ثم يكون ظلومًا غشومًا للناس ، فذلك العتل الزنيم [(٢)] . وقال إبراهيم النخعي : العتل : الفاجر ، والزنيم :

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير (سورة ن والقلم) ٦/ ١٩٨ . وفي الأيمان والنذور ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ ٨/ ١٦٧ . ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٩٠ (٢٨٥٣) . « **كل ضعيف متضعف** » : أي يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا . « **لو أقسم على الله لأبرّه** » : أي لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله تعالى بإبراره ، لأبرّه . وقيل : لو دعاه لأجابه . والأول هو المشهور . « **كل عتل جواظ مستكبر** » : العتل : الجافي الشديد الخصومة بالباطل . وقيل : الجافي الفظ الغليظ . وأما الجواظ : فهو الجموع المنوع . وقيل : الكثير اللحم المختال في مشيته . وقيل : القصير البطين . وقيل : الفاخر . **وأما المستكبر** : فهو صاحب الكبر ، وهو بطر الحق وغمط الناس ا.هـ.

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢٩/ ٢٤ .

اللئيم في أخلاق الناس.

٢ ـ (٢٣٩) وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم** » فقال رجل من المسلمين : ما الجواظ الجعظري والعتل الزنيم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **الجواظ الذي جمع ومنع ، وأما الجعظري فالفظ الغليظ ، قال الله تعالى** : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] . **وأما العتل الزنيم : فشديد الخلق رحيب الجوف مصحح أكول شروب ، واجد للطعام ، ظلوم للأنام** » [(١)] .

٣ ـ (..) وروى معاوية بن صالح عن كثير بن الحارث ، عن القاسم مولى معاوية قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العتل الزنيم قال : « **هو الفاحش اللئيم** » [(٢)]. وقال معاوية : وحدثني عياض بن عبد الله الفهري عن موسى بن عقبة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك . خرجه كله ابن أبي حاتم .

وأما المستكبر فهو الذي يتعاطى الكبر على الناس والتعاظم عليهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٦٠] .

٤ ـ (١٠٧) وقد ذكرنا فيما سبق حديث : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يساقون إلى سجن في النار يقال له : بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يغشاهم الذل من كل مكان** » [(٣)]. فإن عقوبة التكبر الهوان والذل ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٢٧ مختصرا وعنده : « للناس » ، بدلا من : « للأنام » . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٩٣ : « رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ » ا.هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٦٥ (١٨٩٤١) . * **ومعاوية بن صالح بن حُدير** ـ كما في التقريب ٢/ ٢٥٩ (١٢٣٢) ـ صدوق له أوهام ا.هـ . والقاسم مولى معاوية ـ كما في التقريب ٢/ ١١٨ (٢٩) ـ صدوق ، يرسل كثيرًا .ا.هـ .

(٣) سبق برقم (١٠٧) .

تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:٢٠] .

٥ ـ (٢٤٠) وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكيه عن ربه ـ عز وجل ـ قال : « **الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته بناري** » (١) . [يعني ألقيته في جهنم] (٢) .

٦ ـ (٢٤١) وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « **تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطُهُم ، قال الله عز وجل للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، وأما النار فلا تمتلئ حتى يضع عليها رجله فتقول : قط قط ، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا ؛ وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا** » (٣).

وفي رواية خرجها ابن أبي حاتم : « **فقالت النار : ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون والأشراف وأصحاب الأموال** » (٤).

٧ ـ (٢٤٢) وخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال :

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ٤/ ٣٥٠ (٤٠٩٠) ، وابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر والتواضع ٢/ ١٣٩٧ (٤١٧٤) ، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٦ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢ . عن أبي هريرة رضي الله عنه . وإسناده صحيح .
وهو عند مسلم في الصحيح ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكبر ٤/ ٢٠٢٣ (٢٦٢٠) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : « **العزّ إزاره . والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته** » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الفاروق .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير (سورة ق) ٦/ ١٧٣ ، وفي التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٦/ ١٦٤ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٨٦ (٢٨٤٦) .
« **سقطهم** » أي ضعفاؤهم والمتحقرون منهم ا.هـ.

(٤) ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦/ ٢٠٩٦ (١١٢٩٩) .

« افتخرت الجنة والنار ، فقالت النار : يارب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة : أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين »[(١)]. ذكر الحديث بمعنى ما تقدم .

وسبب هذا أن الله ـ عز وجل ـ حف الجنة بالمكاره وحف النار بالشهوات .

كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٣٧-٤١] .

٨ ـ (٢٤٣) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات** »[(٢)] .

وخرجه مسلم ولفظه : « **حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات** »[(٣)] .

وخرجه أيضًا من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(٤)].

٩ ـ (٢٤٤) وخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فجاءها فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها ، قال : فرجع إليه ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها ، قال : فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد ، قال : فاذهب إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها ، فإذا هي يركب بعضها بعضًا ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال : ارجع إليها**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣ ، ٧٨ . وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١١٢ : « رواه أحمد ورجاله ثقات » ا.هـ.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب حجبت النار بالشهوات ٨/ ١٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤/ ٢١٧٤ (٢٨٢٣) .

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٢٨٢٢) .

فرجع إليها فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها » [(١)] .

فتبين بهذا أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعم بشهوات الدنيا والتكبر والتعاظم على الخلق ، وهي صفات أهل النار التي ذكرت في حديث حارثة بن وهب ، هي جماع الطغيان والبغي كما قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ۝٧ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦، ٧] . والطغيان وإيثار الحياة الدنيا وشهواتها من موجبات النار كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٣٩ ٱلْمَأْوَىٰ هِىَ ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩] .

وأما الضعيف في البدن والاستضعاف في الدنيا من قلة المال والسلطان مع الإيمان فهو جماع كل خير ، ولهذا يقال : من العصمة أن لا تجد فهذه صفة أهل الجنة التي ذكرت في حديث حارثة[(٢)].

وقد روي نحو حديث حارثة من وجوه متعددة وفي بعضها زيادات .

١٠ ـ (٢٤٥) خرج له الإمام أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **الضعفاء المغلوبون ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **كل شديد جعظري هم الذين لا يألمون رؤوسهم** » [(٣)] .

١١ ـ (٢٤٦) ومن حديث سراقة بن مالك بن جعشم أن النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار ٥/ ١٠٨ (٤٧٤٤) ، والترمذي في السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ١٠/ ٣٣ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح» ا.هـ ، والنسائي في السنن ، كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بعزة الله تعالى ٧/ ٣ [بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي] ، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٣٢ ، ٣٥٤ .

(٢) أى حديث حارثة بن وهب السابق برقم (٢٣٨) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٥٠٨ . وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ٢٩٤ : « رواه أحمد وفيه البراء ابن يزيد الغنوي قال ابن عدي : هو عندي أقرب إلى الصدق ـ قلت : وقد ضعفه أحمد وغيره » ا.هـ.

وآله وسلم قال له : « **يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟** » قال : بلى يا رسول الله قال : « **أما أهل النار فكلُّ جَعْظُري جوّاظ مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون** » [١] .

١٢ ـ (٢٤٧) ومن حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أهل النار كل جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون** » [٢] .

١٣ - (٢٤٨) ومن حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ألا أخبركم بأهل الجنة وأهل النار ؟ أما أهل الجنة فكل ضعيف متضعف أشعث ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره ، وأما أهل النار فكل جعظري جواظ جماع مناع ذي تبع** » [٣] .

وقد سبق تفسير الجعظري بالفظ الغليظ الجافي.

١٤ ـ (٢٤٩) وخرج الطبراني من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ألا أخبركم بصفة أهل الجنة ؟** » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « **كل ضعيف متضاعف ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟** » . قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « **كل جظ جعظر مستكبر** » قال : فسألته ما الجظ ؟ قال : « **الضخم** » وما الجعظر ؟ قال : « **العظيم في نفسه** » [٤] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٧٥ . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٦٥ : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن » ا.هـ. وفي ١٠/ ٣٩٣ : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه راو لم يسم » ا.هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٤ . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٩٣ : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » ا.هـ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٤٥ . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٦٤ . « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه يعتضد » ا.هـ.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٦٦ (٣٢٥٦ ـ ٣٢٥٨) عن حارثة بن وهب . وفي الأوسط ٤/ ٣٠٢ (٤٢٦٣) وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٦٥ : « رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف » ا.هـ.

١٥ ـ (٢٥٠) وروى عثمان بن أبي العاتكة عن أبي جعفر الحنفي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ألا أنبئكم بأهل النار ؟** » **قالوا : بلى ، قال : « كل سمين ليس طيب الريح »** [(١)] .

١٦ ـ (٢٥١) وروى سليم بن عامر عن فرات البهراني عن أبي عامر الأشعري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل النار فقال : « **لقد سألت عن عظيم كل شديد قعبري** » فقال : وما القعبري يا رسول الله ؟ قال : « **الشديد على العشيرة ، الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب** » قال : فمن أهل الجنة يا رسول الله ؟ فقال : « **سبحان الله لقد سألت عن عظيم كل ضعيف مزهد** » [(٢)] .

وفي المعنى أحاديث أخر .

١٧ ـ (٢٥٢) وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته : « **وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك** » [(٣)] . وذكر البخل والكذب ، « **والشنظير** » الفاحش .

ففي هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الجنة ثلاثة أصناف:

أحدها : ذو السلطان المقسط المتصدق ، وهو من كان له سلطان على الناس فسار في سلطانه بالعدل ، ثم ارتقى درجة الفضل .

---

(١) لم أقف على هذه الرواية .

(٢) أخرجه أبو بكر الشيباني في : الآحاد والمثاني ٥/ ٢٧٧ (٢٨٠٢) . تحقيق د/ باسم فيصل الجوابرة . دار الراية . الرياض . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م. وأبو نعيم في : معرفة الصحابة ١٦/ ٢٠٥ (٥١٠٤) ، وابن أبي عاصم في : الآحاد والمثاني ٨/ ١١٢ (٢٤٧٣) . المكتبة الشاملة . الإصدار الثاني . « كمبيوتر» .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار ٤/ ٢١٩٨ (٢٨٦٥) .

والثاني : الرحيم الرقيق القلب الذي لا يخص برحمته قرابته ، بل يرحم المسلمين عمومًا ، فتبين أن القسمين أهل الفضل والإحسان .

والثالث : العفيف المتعفف ذو العيال ، وهو من يحتاج إلى ما عند الناس فيتعفف عنهم ، وهذا أحد نوعي الجود أعني العفة عما في أيدي الناس لا سيما مع الحاجة.

وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى ولو كان الأذى بحق فقال : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ١٣٤ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤] . فهذا حال معاملتهم للخلق .

ثم وصف قيامهم بحق الحق فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ١٣٦ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٥، ١٣٦] . فوصفهم الله عند الذنوب بالاستغفار وعدم الإصرار وهو حقيقة التوبة النصوح .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ١٨ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ [البلد:١١-١٨] . والعقبة قد فسرها ابن عباس بالنار . وفسرها ابن عمر بعقبة في النار كما تقدم .

فأخبر سبحانه أن اقتحامها ، وهو قطعها ومجاوزتها يحصل بالإحسان إلى الخلق ، إما بعتق الرقبة وإما بالإطعام في المجاعة ، والمطْعَم إما يتيم من ذوي القربى أو مسكين قد لصق بالتراب فلم يبق له شيء ، ولا بد مع هذا الإحسان أن يكون

من أهل الإيمان ، والآمر لغيره بالعدل والإحسان ، وهو التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة ، وأخبر سبحانه أن هذه الأوصاف أوصاف أصحاب الميمنة .

وأما أهل النار فقد قسمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث خمسة أصناف :

الصنف الأول : الضعيف الذي لا زبر له ، ويعنى بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح .

١٨ ـ (٢٥٣) وخرج العقيلي من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « **إن الله يبغض المؤمن الذي لا زبر له** » [(١)] . قال بعض رواة الحديث : يعني الشدة في الحق .

ولما حدث مطرف بن عبد الله بحديث عياض بن حمار هذا وبلغ قوله : « **الضعيف الذي لا زبر له** » فقيل له : أو يكون هذا ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتهم في الجاهلية ، وإن الرجل ليرعى على الحي ما له إلا وليدتهم يطؤها[(٢)].

وقال ابن شوذب يقال : إن عامة أهل النار كل ضعيف لا زبر له ، الذين هم فيكم اليوم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد في الزهد . وهذا القسم شر أقسام الناس ، ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم همم في طلب الدنيا ولا الآخرة ، وإنما همة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له ، وهو تبع للناس خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم .

والصنف الثاني : الخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خانه ، أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها ، ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان ، وكذلك الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال

---

(١) أورده العقيلي في : الضعفاء الكبير ٤/ ٢٤٧ ترجمة : مسمع بن محمد الأشعري (١٨٤١) . وقال السيوطي في : الجامع الصغير ١/ ١١٥ (١٨٥٨) : « ضعيف » ا.هـ.

« لا زبر له » : أي لا عقل له يزبره . أي ينهاه عن الإثم . أو لا عقل له يعتد به ، أو يحتفل به ، أو لا تماسك له عن الشهوات فلا يرتدع عن فاحشة ولا ينزجر عن محرم ا.هـ. فيض القدير شرح الجامع الصغير : للمناوي ٢/ ٢٨٦ . دار الحديث القاهرة .

(٢) الحديث بطوله أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٩ (٢٨٦٥) .

اليتامى وغير ذلك وهو خصلة من خصال النفاق ، وربما يدخل الخيانة من خان الله ورسوله في ارتكاب المحارم سرًا مع إظهار اجتنابها .

قال بعض السلف : كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له .

الصنف الثالث : المخادع الذي دأبه صباحًا ومساءً مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم ، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك ، والخداع معناه إظهار الخير وإضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك ، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة .

١٩ ـ (٢٥٤) وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع في النار** » [(١)].

الصنف الرابع : الكذب والبخل ، ولم يحفظ الراوي ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا حفظًا جيدًا ، والكذب والبخل خصلتان . وفي مسند الإمام أحمد [(٢)] في هذا الحديث الكذب أو البخل بالشك ، وقد قيل : إنه عدهما واحدًا ، كذا قاله مطر الوراق وهو أحد رواة هذا الحديث .

والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح كما جاء ذلك في الأحاديث ، والشح هو : شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة ، وينشأ عنه البخل وهو : إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في وجوهه التي أمر بها . فالمخادع الذي سبق ذكره هو الشحيح ، وهذا الصنف هو البخيل ، فالشحيح أخذ المال بغير حقه ، والبخيل منعه من حقه ، كذلك روي تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاووس وغيرهما من السلف : وفي الأثر : إن الشيطان قال : مهما غلبني ابن آدم فلن يغلبني بثلاث : يأخذ المال من غير حله ، أو ينفقه في غير وجهه ، أو يمنعه من حقه .

---

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ٢/ ٣٢٦ (٥٦٧) ، والطبراني في الكبير ١٠/ ١٦٩ (١٠٢٣٤) . وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ٧٩ : « رواه الطبراني في الكبير والصغير ورجاله ثقات » ا.هـ. وضعفه السيوطي في : الجامع الصغير ٢/ ٥٣٥ (٨٨٨١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٦٢ . وإسناده صحيح .

وينشأ عن الشح أيضًا الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة .

٢٠ ـ (٢٥٥) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار** » (١) .

٢١ ـ (٢٥٦) وفي المسند عن عبد الله بن عمرو قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما عمل أهل النار ؟ قال : « **الكذب ، إذا كذب العبد فجر ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل النار** » (٢) .

الصنف الخامس : الشنظير ، وقد فسر بالسيئ الخلق ، والفحاش هو الفاحش المتفحش .

٢٢ ـ (٢٥٧) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه** » (٣) .

٢٣ – (٢٥٨) وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **إن الله يبغض الفاحش البذيء** » (٤) . والبذيء : الذي يجري لسانه

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٨/ ٣٠ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب البر والصلة ، باب قبح الكذب ، وحسن الصدق ، وفضله ٤/ ٢٠١٣ (٢٦٠٧) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وأوله : « **إن الصدق يهدي إلى البر ...** » . وفي رواية : « **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ...** » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٧٦ . وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٤٢ : « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة » ا.هـ.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ٨/ ٢١ ، وباب المداراة مع الناس ٨/ ٣٨ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب البر والصلة ، باب مداراة من يتقي فحشه ٤/ ٢٠٠٢ (٢٥٩١) .

(٤) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء فى اللعنة ٨/ ١٤٩ [بشرح الإمام ابن العربى المالكى] عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء** » . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » ا.هـ . وعنده أيضًا عن أبي الدرداء ، باب ما جاء في حسن الخلق ٨/ ١٦٧ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] أن النبى ﷺ قال : « **ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء** » . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ا.هـ.

بالسفه ونحوه من لغو الكلام .

٢٤ ـ (٢٥٩) وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **بحسب امرئ من الشر أن يكون فاحشًا بذيئًا بخيلًا جبانًا** »[(١)] .

فالفاحش هو الذي يفحش في منطقه ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه ، ويأتي في كلامه بالسخف وما يفحش ذكره .

*****

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٤٥ ، ١٥٨ . عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد ، وإنما أنتم ولد آدم ، طف الصاع لم تملؤه ، ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح ، حسب الرجل أن يكون فاحشًا بذيًا بخيلًا جبانًا** » . وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٨٤ : « رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه لين ، وبقية رجاله وثقوا » ا.هـ.

فصل
في ذكر أول من يدخل النار من عصاة الموحدين

٢٥ ـ (٢٦٠) خرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد وعبد مملوك لا يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال . وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير متسلط ، وذو ثروة من مال يمنع حق الله في ماله ، وفقير فخور** » [(١)] .

وخرج الترمذي أوله وقال : حديث حسن [(٢)] .

فهؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار ، وضد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين في حديث عياض بن حمار .

فإن السلطان المسلط ضد العادل المحسن ، والغني الذي يمنع حق الله ضد الرحيم الرقيق القلب بذي القربى وكل مسلم ، والفقير الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره .

وأوصاف هؤلاء الثلاثة هي : الظلم والبخل والكبر ، والثلاثة ترجع إلى الظلم ؛ لأن الملك يظلم الناس بيده ، والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة ، والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم بقوله ، وأذاه لهم بلسانه .

٢٦ – (٢٦١) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل ذكر فيه : « **المقاتل والقارئ والمتصدق الذين يراؤون بأعمالهم** » [(٣)] . وقال : « **أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة يا أبا**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥ ، ٤٧٩ وإسناده حسن .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في ثواب الشهداء ٧/ ١٤١ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » ا.هـ.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/ ١٥١٤ (١٩٠٥) . وأوله : « **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ...** » . =

هريرة »[١] .

وقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار ، وأولئك الثلاثة أول من يدخل النار ، وتسعير النار أخص من دخولها فإن تسعيرها يقتضي تلهبها وإيقادها ، وهذا قدر زائد على مجرد الدخول ، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة ؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر ، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره .

وقد ورد أن فسقة القراء يبدأ بهم قبل المشركين .

٢٧ ــ (٢٦٢) فروى عبد الملك بن إبراهيم الجدي ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز العمري ، عن أبي طوالة ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون : يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ فيقال لهم : ليس من علم كمن لا يعلم** »[٢] . خرجه الطبراني وأبو نعيم وقال : غريب من حديث أبي طوالة تفرد به عنه العمري ، انتهى . والعمري هذا هو : أبو عبد الرحمن الزاهد ـ رحمه الله .

وقد ذكرنا في الباب الخامس والعشرين أحاديث متعددة في خروج عنق من النار يوم القيامة تتكلم ، وأنها تلتقط من صفوف الخلق : المشركين ، والمتكبرين ، وأصحاب التصاوير .

= وقوله ﷺ في الغازى والعالم والجواد ، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله ، وإدخالهم النار ، دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته . وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال ا.هـ.

(١) هذا اللفظ من رواية عند الترمذي في السنن ، أبواب الزهد ، باب ما جاء فى الرياء والسمعة ٩/ ٢٢٩ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » ا.هـ. وأوله : « **إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم ...** » .

(٢) لم أقف عليه عند الطبراني . وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٨٦ وقال : غريب من حديث أبي طوالة تفرد به عنه العمري ا.هـ ، وعزاه السيوطي في : الجامع الصغير ١/ ٢٨٠ (٤٥٨٥) إلى الطبراني وأبو نعيم وقال : ضعيف ا.هـ ، وقال المناوى في فيض القدير ٤/ ٧٠ : وقال ابن حبان : حديث باطل . وابن الجوزي : موضوع . قال المنذري : لكن له مع غرابته شواهد . وقال في الميزان : حديث منكر ا.هـ.

« تنبيه » : قال ابن عبد السلام في أماليه : ظاهر الحديث أن العالم أكثر عذابا من الجاهل وليس ذلك على إطلاقه ، ثم ذكر تفصيلا فاطلبه من الأمالي ا.هـ.

وفي رواية : « ومن قتل نفسًا بغير نفس فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام »[١] .

وروي عن ابن عباس وغيره من السلف أن ذلك يكون قبل نشر الدواوين ونصب الموازين .

وجاء في حديث مرفوع أن ذلك يكون قبل حساب سائر الناس . والله أعلم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

*****

(١) سبق صـ ٢٥٥ برقم (١٩٧) .